

محاولات الانتحار بين أزمة الوجود وأزمة الاتصال (مقاربة سوسيو-ثقافية)

د. كبداني خديجة / جامعة وهران 02

مقدمة*:

الانتحار هو قتل الذات، يظهر هذا الفعل في أول الأمر كعرض مرضي، كما يعتبر كفعل موجود لدى الفرد العادي، حيث يعبر عن قيمة عاطفية ويحمل دلالة وجودية. فإذا كان الفلاسفة يعتبرونه كإثبات للحرية الإنسانية وعلماء الاجتماع يعتبرونه كفعل اجتماعي، فإن الأطباء والأخصائيين النفسانيين يعتبرونه كانشغال جوهري يطرح أشكالا مهما في مجال الصحة العقلية. إن الانتحار هو فعل عقلائي، ينفذ في إطار اعتبارات معنوية (أخلاقية)، اجتماعية، دينية، فلسفية أو شخصية، أو بالعكس فعل مرضي يكون نتيجة تطور مختلف الاضطرابات العقلية خاصة في حالة الاكتئاب، الخبل، أو من خلال أزمة وجودية حادة على شكل نزوة عنيفة ومفاجئة يقدم فيها الشخص على الانتحار أو تشويه ذاته.

ان الانتحار أو محاولة الانتحار، تتضمن ثلاث وظائف مختلفة:

1- كسلوك للتجنب للهروب من وضعية غير مقبولة أو مؤلمة.

* - Abstract: Suicide or more explicitly suicide attempts in our society have taken another dimension. People in such a situation do no longer aim at killing themselves but put an end to a dramatic situation, which pushes the individual towards distress and hopelessness. This insuperable situation of clash between mutations and factors is due to the family or social system the individual belongs to.

In the light of these mutations, the instrumental communication has taken a material dimension where the individuals have lost all interaction and emotional sharing. This loss of affective and interactive communication has established suicide attempts as an escape link between the family and society, and these acts, therefore, show the absence of communication.

The main objective of this paper/study/intervention is to target a group of young people as a sample in order to inquire into the problems causing harm to this category of young people amongst their family and their society and what solutions they consider to overcome these problems; and then work with suicidal people and define the factors pushing them to this act.

Key words: suicide attempt, family, society, communication, existence.

- 2- كسلوك حقيقي لتجسيد العدوانية الموجهة نحو الذات.
- 3- كنداء لطلب النجدة والإنقاذ فهو نوع من الرسائل الموجهة للمحيط عندما يفقد الفرد كل قنوات الاتصال التي تربطه بمن يحيط بهم، أي يطلب من الأخر التدخل لأنه وصل الى وضعية يأس.
- لقد تعددت أسباب وعوامل الاقبال على هذا الفعل لدى أوساط الشباب، خاصة منها البطالة، الاحساس بالوحدة والاحساس بالرفض من طرف الأخر سواء تعلق الأمر بالمحيط الأسري أو بالمجتمع ككل.
- هذه العوامل تتناسب في غالبيتها مع دراسة دوركايم Durkheim للانتحار سنة 1897، حيث اعتبره كنتيجة لفتور الروابط العائلية والعزلة الاجتماعية.
- أخذت ظاهرة الانتحار تتزايد عند المراهقين والشباب، ويرجع ذلك أساسا الى الفشل واستحالة أو صعوبة الاندماج المهني والاجتماعي، هذا ما تثبتته مقولة الكاتب Drieu la Rochelle " الانتحار هو فعل، فعل الذين لم يتمكنوا من اتمام أفعال أخرى.¹
- نجد أن محاولات الانتحار عند فئة المراهقين تكون نتيجة الانفصال عن الوسط الأسري والانقطاعات العاطفية الأولى، اذن لابد من التسليم بواقع مفاده أن ظاهرة الانتحار مرتبطة غالبا بانعكاس التفاعل بين العوامل الاجتماعية والعوامل الشخصية.
- ان الانتحار أو بالأحرى محاولات الانتحار في مجتمعنا، أخذت بعدا آخر حيث أنها لا تهدف الى وضع نهاية للحياة لكن وضع نهاية لوضعية قاهرة تدخل صاحبها في دائرة اليأس والقنوط، هذه الوضعية التي لا يتمكن الفرد من تجاوزها أو التعبير عنها لتصادمها بمتغيرات وعوامل أخرى غالبا ما تعود الى النظام الذي ينتهي اليه سواء تعلق الأمر بالأسرة أو بالمجتمع ككل.
- ففي ظل هذه المتغيرات اتخذ الاتصال منحني ماديا ويتعلق الأمر بالاتصال الآلي أين أصبح كل الأفراد يفتقدون للتفاعل والمشاركة الانفعالية أي يفتقدون الى ما نسميه بالاتصال الوجداني.

¹ -Jacques Postel,(1998), Dictionnaire de psychiatrie et de psychopathologie clinique, Larousse, Paris p460 .

هذا الغياب أقر محاولات الانتحار كنافذة أخرى لمحاولة ربط الاتصال مع الأسرة والمجتمع وبالتالي أصبحت محاولات الانتحار تترجم تعذر وجود لغة الحوار في الحياة اليومية وهذا فقدان يتجسد في ظهور أغلب الآفات الاجتماعية المنتشرة في مجتمعنا، فكانت هذه المحاولات الانتحارية تعبيرا واضحا على عدم القدرة على الاصغاء والاعتماد على الأوامر بدل النقاش.

ان الهدف الأساسي من هذه الدراسة يتمثل أساسا في التقرب من عينة من الشباب للتعرف على أهم المشاكل التي يعاني منها داخل الأسرة والمجتمع وما هي الحلول التي يرونها كفيلة لتجاوز هذه الأزمات ومن ثم العمل مع عينة قامت بمحاولات انتحارية للتعرف أكثر على العوامل الأساسية المؤدية لهذا الفعل وكذا الأساليب التي يرونها جديرة للتقليل من هذه الظاهرة في مجتمعنا.

إشكالية الدراسة:

إن محاولات الانتحار تعبر عن حالة احباط ووضعية صعبة، غالبا ما تتميز بالشعور بالضيق، مما يجعل حياة الفرد معرضة لمخاطر حيث أن فكرة النهاية والموت تتغلب على أفكاره.

ومن ثم يعتبر الفعل الانتحاري كسلوك فردي من جهة وسلوك جماعي من جهة أخرى، أي أن هذا السلوك يمس كل أفراد الأسرة، كما يعبر عن ذلك كل من Denis Vallée et Nathalie Duriez (2004)¹ بأن محاولة الانتحار هي خروج الفرد لبضع ساعات عن الوسط الأسري.

وحسب اميل دوركايم Emile Durkheim، "الانتحار هو مفهوم يطلق على كل حالة موت والتي تكون كنتيجة مباشرة أو غير مباشرة لفعل سلبي أو ايجابي"² كما فسر دوركايم (1981)، الانتحار على أساس ثلاث فئات:

1- التمرکز حول الذات

2- الغيرية

3- اللامعيارية.

¹- Angel,P.,et Mazet,Ph (2004), Guérir les souffrances familiales, P.U.F, Paris, p 522.

²-Durkheim,E in Moutassem-Mimouni, B., (sous direction/), (2010), Tentatives de suicide et suicide des jeunes, désespoir ou affirmation de soi ? CRASC, Oran, p11.

فالبرغم من الفئات التي استند اليها دوركايم في تفسيره للانتحار، تبقى العوامل متباينة ومتداخلة لتعطينا نتيجة واحدة وهي فشل الفرد في حل وتجاوز مشاكله وصراعاته في إطار العجز عن التفاعل والتكيف مع النسق الذي ينتهي اليه، انطلاقا من الأسرة وصولا إلى المجتمع.

ان النتائج المتوصل اليها في الدراسة حول ذات الموضوع والتي أنجزت على مستوى مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية سنة 2005، تؤكد أن محاولات الانتحار في وسط الشباب بمدينة وهران تعود الى العوامل التالية: نقص الاتصال في الوسط الأسري، الأمن وفقر الروابط الاجتماعية، الظروف الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية الغير مستقرة، الأمر الذي يؤدي بالشباب الى فقدان ثقته بنفسه مما ينعكس على اثبات وتقدير ذاته، فكل هذه العوامل والظروف تدخله في دائرة اليأس، والانسحاب من المجتمع.

من خلال هذا التقديم، يمكن طرح الاشكالية التالية:

إذا كانت محاولات الانتحار في مجتمعنا هي رسالة موجهة للآخر فماذا يمكن أن تحمل هذه الرسالة؟ بمعنى آخر ما هو مدلول محاولات الانتحار في المجتمع الجزائري وما هي القراءة السوسيو-ثقافية لتفسير هذه الظاهرة؟

التحديد الاجرائي لمفاهيم الدراسة:

الانتحار: هو فعل يمنح فيه الفرد الموت لذاته، وقد يكون ناتجا عن عوامل شخصية متعلقة بالفرد وعوامل اجتماعية متعلقة بالوسط الذي ينتهي اليه.

محاولة الانتحار: هي محاولة لوضع حد للحياة دون الوصول الى الموت، فهي فعل يهدف الى وضع حد للوجود.

منهج الدراسة الميدانية:

تضمنت الدراسة الميدانية عينتين، الأولى تم اختيارها بطريقة عشوائية وشملت مجموعة من الأفراد يقدر عددهم ب 80 فردا (45 ذكرا و35 أنثى)، تتراوح أعمارهم بين 17 و30 سنة.

أما العينة الثانية فقد شملت 25 فردا (11 ذكرا و14 أنثى)، قاموا بمحاولات انتحارية، تتراوح أعمارهم بين 15 و34 سنة.

تم اجراء هذه الدراسة في مدينة وهران، في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 06 فبراير الى 22 فبراير 2017.

أدوات الدراسة الميدانية:

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي المتمثل في تحليل مضمون الخطاب، قصد التقرب من فئة الشباب والتعرف على مختلف انشغالاتهم وكذا أهم العوامل التي يرونها أساسية للمرور الى الفعل الانتحاري وذلك من خلال طرح بعض الأسئلة على أفراد العينة، حيث قدمت سؤاليين لأفراد العينة الأولى وسؤاليين لأفراد العينة الثانية وكان الهدف من ذلك التعرف أكثر على اتجاهاتهم وانشغالاتهم خاصة فيما يتعلق بالمشاكل اليومية التي أصبح يعاني منها الشباب الجزائري والحلول التي يراها كفيلة لتجاوز مختلف الصعوبات التي تعترضه، أما بالنسبة لأفراد العينة الثانية كان الهدف هو التعرف على العوامل الحقيقية التي جعلت الشاب يفكر في الانتحار والاقدام على هذا الفعل .

الأسئلة الموجهة لأفراد العينة الأولى:

1- في رأيك، ماهي المشاكل اليومية التي يعاني منها الشباب الجزائري؟

2- في رأيك، ماهي الحلول التي تراها مناسبة لحل مثل هذه المشاكل؟

الأسئلة الموجهة لأفراد العينة الثانية:

1- ماهي العوامل الأساسية التي أدت بك الى التفكير في الانتحار؟

2- بعد محاولتك الانتحارية، هل تعتقد أن هذا الفعل يقدم حلا لمشاكلك؟

عرض النتائج:

بعد تفريغ اجابات المبحوثين، تم الحصول على الاجابات التالية حسب التصنيف الموالي:

1- بالنسبة لأفراد مجموعة البحث الأولى:

الجدول رقم 1: توزيع أفراد العينة حسب النوع.

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	45	56,25
اناث	35	43,75
المجموع	80	100

يبين هذا الجدول عدد أفراد العينة التي جرت عليهم الدراسة الميدانية، حيث بلغ عددها 80 فردا أين نجد 45 ذكرا و35 أنثى.

الجدول رقم 2: توزيع أفراد العينة حسب السن.

السن	17 -	%	21-	%	25 -	%	المجموع
	20		24		30		
ذكور	13	28,88	15	33,33	17	37,77	45
إناث	09	25,71	10	28,57	16	45,71	35
المجموع	22	27,50	25	31,25	33	41,25	80

يبين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب السن، حيث تتراوح الأعمار بين 17 و30 سنة وترتكز النسبة الأعلى بالنسبة للذكور في الفئة بين 25 و30 سنة بنسبة تقدر ب 37,77 %، تليها الفئة بين 21 و24 بنسبة تقدر ب 33,33% وأخيرا الفئة بين 17 و20 سنة بنسبة تقدر ب 28,88%.

أما فيما يخص الإناث، كانت الفئات العمرية تتوزع على التوالي حسب النسب التالية: 45,71% (25- 30 سنة)، نسبة 28,57% (21- 24 سنة)، وأخيرا نسبة 25,71% (17 - 20 سنة).

الجدول رقم 3: توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي.

المستوى التعليمي	ابتدائي	%	متوسط	%	ثانوي	%	جامعي	%	المجموع
ذكور	07	15,55	11	24,44	13	28,88	14	31,11	45
إناث	02	05,71	08	22,85	16	45,71	09	25,71	35
المجموع	09	11,25	19	23,75	29	36,25	23	28,75	80

يبين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي، حيث تركزت الأغلبية من الذكور في المستوى الجامعي بنسبة تقدر ب 31,11%، يليها المستوى الثانوي بنسبة 28,88% ثم المستوى المتوسط بنسبة 24,44% والمستوى الابتدائي بنسبة 15,55%.

أما بالنسبة لفئة الإناث، تركزت الأغلبية في المستوى الثانوي بنسبة 45,71%، يليها المستوى الجامعي بنسبة 25,71%، ثم المستوى المتوسط بنسبة 22,85% والمستوى الابتدائي بنسبة 05,71%.

الجدول رقم 4: توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية.

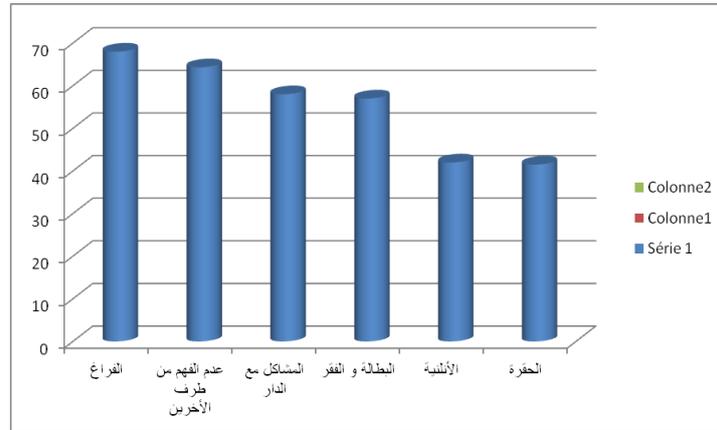
الحالة العائلية	أعزب	%	متزوج	%	مطلق	%	المجموع
ذكور	43	95,55	02	04,44	00	00	45
إناث	25	71,42	06	17,14	04	11,42	35
المجموع	68	85	08	10	04	05	80

يبين هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية، بالنسبة لفئة الذكور تمركزت كلها في حالة الأعزب بنسبة 95,55% ثم نسبة 04,44% تمثل فئة المتزوجون.

بالنسبة للإناث، نجد نسبة 71,42% تمثل فئة العازبات، ونسبة 17,14% تمثل فئة المتزوجات، أما نسبة 11,42% تمثل فئة المطلقات.

- المشاكل اليومية:

- 1- الفراغ (68%).
- 2- عدم الفهم من طرف الآخرين (ما كانش اللي يفهمك) (64,33%).
- 3- المشاكل مع الدار (58%).
- 4- البطالة والفقر (57%).
- 5- الأنانية (42%).
- 6- الحقرة (41,50%).



يوضح هذا المخطط البياني، مجمل المشاكل اليومية التي أصبح يعاني منها الشاب الجزائري، الأمر الذي أصبح يعيق توافقه النفسي والاجتماعي، فجاءت هذه المشاكل وفق تصورات أفراد مجموعة البحث مرتبة كالآتي: الفراغ (68%)، عدم الفهم من طرف الآخرين (64,33%)، المشاكل الأسرية (58%)، البطالة والفقر (57%)، الأنانية (42%) والحقرة (41,50%).

2- الحلول المناسبة حسب آراء أفراد العينة:

- 1- الابتعاد عن الناس 71%
- 2- الحرقه "للخروج من الغرفة" 69%
- 3- العمل 68%
- 4- الاستغفار 49%
- 5- النوم 41%
- 6- الهروب 39%



يوضح هذا المخطط مجموعة من الحلول التي يراها الشاب الجزائري كفيلة بحل المشاكل التي يصادفها في حياته اليومية، وجاءت هذه الحلول مرتبة كالأتي: الابتعاد عن الناس (71%)، الحرقه (69%)، العمل (68%)، الاستغفار(49%)، النوم (41%) والهروب (39%).

2-بالنسبة لمجموعة البحث من محاولي الانتحار:

الجدول رقم 5: توزيع أفراد العينة حسب النوع:

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكور	11	44
اناث	14	56
المجموع	25	100

يوضح هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب السن، حيث نلاحظ أن نسبة الذكور الذين حاولوا الانتحار قدرت ب 44%، بينما نسبة الاناث ب 56%.

الجدول رقم 6: توزيع أفراد العينة حسب السن

السن	19 -	%	24 -	%	29 -	%	المجموع
السن	23		28		33		
ذكور	03	27,27	06	54,54	02	18,18	11
اناث	05	35,71	03	21,42	06	42,85	14
المجموع	08	32	09	36	08	32	25

يوضح هذا الجدول توزيع أفراد العينة حسب السن، حيث يظهر أن أكبر نسبة لمحاوي الانتحار من الذكور كانت للفئة التي تتراوح أعمارها بين 24 و 28 سنة وذلك بنسبة 54,54%.، بينما أصغر نسبة والتي قدرت ب 18,18% للفئة التي تتراوح أعمارها بين 29 و 33 سنة.

أما بالنسبة للإناث، كانت أكبر نسبة لمحاولات الانتحار للفئة العمرية التي تتراوح أعمارها بين 29 و 33 سنة بنسبة 42,85%.، بينما أصغر نسبة سجلت لدى الاناث اللواتي تتراوح أعمارها بين 24 و 28 سنة والتي قدرت ب 21,42%.

الجدول رقم 7: توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	ابتدائي	%	متوسط	%	ثانوي	%	جامعي	%	المجموع
ذكور	01	9,09	01	9,09	07	63,63	02	18,18	11
اناث	00	00	03	21,42	08	51,14	03	21,42	14
المجموع	01	04	04	16	15	60	05	20	25

يوضح هذا الجدول، توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي، حيث نلاحظ أن مستوى محاوي الانتحار من الذكور ذوا المستوى الثانوي قدر بنسبة 63,63%.، يليه المستوى الجامعي بنسبة 18,18% ثم المستوى الابتدائي بنسبة 9,09%.

أما بالنسبة للإناث، كانت أكبر نسبة للمتحصلات على مستوى تعليمي ثانوي حيث قدرت النسبة ب 51,14%.، كما سجلت نفس النسبة والتي قدرت ب 21,42% للمستوى المتوسط والجامعي.

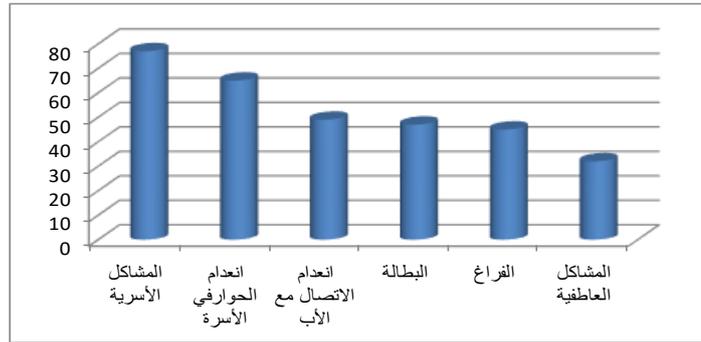
الجدول رقم 8: توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية

الحالة العائلية	أعزب	%	متزوج	%	مطلق	%	المجموع
ذكور	8	72,72	02	18,18	01	9,09	11
اناث	11	78,57	01	07,14	02	14,28	14
المجموع	19	76	03	12	03	12	25

يوضح هذا الجدول، توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية، حيث نسجل أكبر نسبة من محاولي الانتحار من الذكور عزاب وهذا بنسبة 72,72%، ما يقارب أكبر نسبة سجلت عند الاناث في نفس الوضعية العائلية والتي قدرت ب 78,57%.

العوامل الأساسية المؤدية الى التفكير في الانتحار:

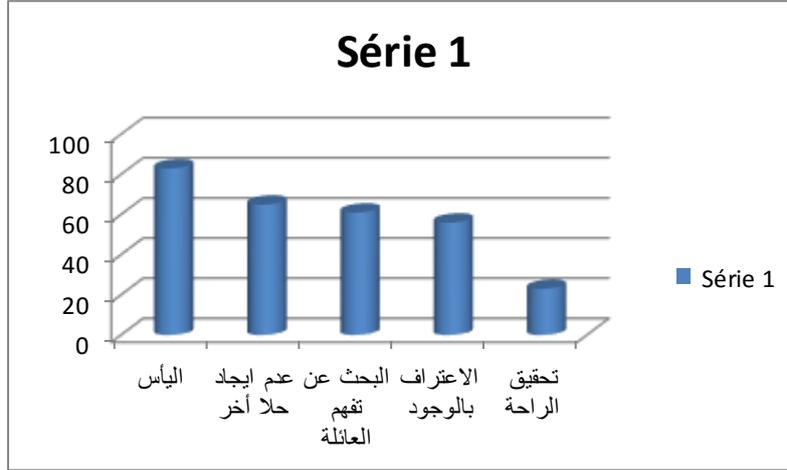
- المشاكل الأسرية 77%
- انعدام الحوار بين أفراد الأسرة 65%
- انعدام الاتصال مع الأب 49%
- البطالة 47%
- الفراغ 45%
- المشاكل العاطفية 32%



من خلال هذا المخطط البياني، تتضح مجمل العوامل المؤدية الى التفكير في الانتحار، وجاءت مرتبة حسب معاش وتصورات أفراد مجموعة البحث، حيث نجد المشاكل الأسرية في المرتبة الأولى (77%)، انعدام الحوار والاتصال داخل الأسرة (65%)، انعدام الاتصال مع الأب (49%)، البطالة (47%)، الفراغ (45%) والمشاكل العاطفية (32%).

- تفسير المرور الى المحاولة الانتحارية وهل تعتبر حلا:
- ليست حل، لكن اليأس هو الذي أدى الى التفكير في هذه النهاية 83%
- عدم ايجاد حلا آخر 65%
- البحث عن تفهم الأسرة (باش دارنا تفهمني) 61%
- الاعتراف بالوجود (باش يعرفوا أنني n'exister) 56%

- تحقيق الراحة (باش نتبى من البلاد والعباد) 23%



هذا المخطط، يوضح تفسير المرور الى المحاولة الانتحارية، بحيث اعتبرت نسبة 83% من الشباب الذين أقدموا على هذا الفعل أنها ليست حلا، لكنها كانت بسبب اليأس من ايجاد حلول أخرى، مما دفعهم الى المرور الى هذا الفعل، وهذا ما أكدته نسبة 65% في تعبيرهم (لم أجد حلا آخر).

نسبة 61% فسرتها على أساس البحث عن تفهم الأسرة لهم، اما نسبة 56% اعتبرت أن محاولاتهم للانتحار تعبر على أزمة وجود، أما ما يقدر ب 23%، اعتبروها كتحقيق للراحة.

مناقشة النتائج:

ان نتائج الدراسة المحصل عليها، تقدم لنا مؤشرات حقيقية لواقع طالما تغافل النسق الاجتماعي عنه سواء تعلق الأمر بالأسرة كقاعدة أساسية لتنشئة الفرد أو المجتمع الذي ينتهي اليه هذا الأخير.

ان محاولات الانتحار عند الشاب قد تكون عنوانا لنقطتين أساسيتين:¹

1- اضطرابات التكوين والعادات الواجب تصحيحها وتعديلها من طرف الأسرة

من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية.

2- النوعية السيئة للصورة الأبوية.

¹ Pierre Moron (1975), Le suicide, PUF, Paris 60.

حسب هذا الطرح، يعتبر المرور من الفكرة الى الفعل الانتحاري مرتبط بالأسرة كونها تمثل النظام أو النسق الذي يقوم بصقل شخصية الفرد، بمعنى الشاب المحاول للانتحار بحاجة الى اقامة علاقة وجدانية مع أشخاص آخرين يمثلون واقعه. ان مجمل العوامل التي طرحها أفراد العينة سواء تعلق الأمر بالعينة الأولى أو بالعينة الثانية المتمثلة في الأفراد الذين قاموا بمحاولات انتحارية، تجلت أساسا في العوامل الأسرية بالدرجة الأولى، خاصة في المشاكل العلائقية ومشاكل الاتصال، وهذا ما تثبتته أغلب الدراسات حول هذا الموضوع ألا وهو أن محاولات الانتحار رغم اتخاذها لعدة وظائف، تبقى وظيفة النداء هي الوظيفة الأساسية، كون الفرد عندما يقرر المرور الى الفعل الانتحاري يكون واعيا بانعكاسات فعله هذا وداركا أن الاعتداء على الذات أمرا محرما لأن هذا الجسم الذي يتمتع به ليس ملكا له، وفي هذا الاطار أستند الى مقولة Stengel " حينما اعتبر أن أغلبية الأفراد الذين يقومون بمحاولات انتحار هدفها نداء الآخر لأتهم شعروا أو وجدوا أنفسهم غير قادرين على مواجهة وضعية أو وضعيات معينة"¹.

بذلك الفعل الانتحاري لا يمكن أن يكون سليما من العدوانية الممارسة اتجاه الآخرين وكذا الشعور بالفشل اتجاه الذات.

إن أفراد العينة، عبروا عن الفراغ الذي أصبح يطغى على حياتهم مما يدخلهم في دائرة اليأس والروتين الذي عرقل سير حياتهم العادية، ويمكن تفسير هذا الشعور بالفراغ كنتيجة لضيق جماعي، فالفراغ يؤثر على الفرد لأنه يمس مفهوم الزمن لديه، حيث يصبح الفرد يعيش اجترارا للماضي ويفقد تدريجيا ادراكه للمستقبل، مما يدخله في دائرة الانغلاق على الذات والانسحاب من المشاركة الاجتماعية، الأمر الذي ينعكس على مختلف المشاكل العلائقية التي عبر عليها أفراد العينة والمتمثلة في اضطراب الاتصال والحوار مع الآخر فلا يمكن للفرد أن يحقق ذاته ومكانته في محيطه الاجتماعي إلا اذا كان متواصلا مع الآخرين، فهذا الفرد منذ حدوثه ينتظر نضجه العقلي لكي يتمكن من طرح سؤال حول الأنا والآخر، "فالأنا هو هبة الآخر

¹ -Stengel in Pierre Moron,op.cit, p 71.

بمعنى الفرد يكون أنه من خلال الموضوع الخارجي أي الآخر " فالفرد لا يوجد للآخر لكن يوجد مع وبالآخر¹.

هذا ما يفسر اجابات المبحوثين الخاصة بمشاكل الاتصال والصراعات المتمثلة في عدم امكانية تحقيق ذات متزنة في وسطهم الاجتماعي، مما يعبر أكثر على أزمة وجود على حد تعبيرهم (باش يعرفوا أنني موجود n'exister).

ان محاولات الانتحار التي قام بها أفراد العينة المدروسة ما هي إلا تعبير عن القليل من الأمل قصد البحث عن الفهم والمساندة وبالتالي الخروج من دائرة الضيق والكآبة وابرار الرغبة في إعادة بناء الحياة الداخلية ومن ثم الاستثمارالموضوعي للعالم الخارجي، لإعادة البناء هذه تعني محاولة حل الصراعات وتسوية المشاكل السابقة. فمحاولات الانتحار ما هي إلا تعبير عن صراعات شخصية تفاعلت مع عوامل خارجية أفقدت الحالات توازنها، فالصراعات الداخلية تظهر في حالة وجود اختلال بين ما تشعر به وما تقوم به، كل هذه الأوضاع خلقت لديها حالة احباط وضغط وعنف، ما سبب لها مجموعة من الاحباطات التي أدت بها الى الشعور بنقص القيمة، فقدان تقدير الذات وفقدان الرغبة في الوجود.

كما أود الإشارة الى دراسة Minkowski حول الزمن المعاش في هذه المقولة: "شعور الفرد المحاول للانتحار يدمر المستقبل الفارغ بالنسبة إليه فلا يوجد شيء ينتظره، المستقبل يختفي، الزمن المعاش يموت"².

اذن، محاولات الانتحار في المجتمع الجزائري تعدت كونها سلوكا يسلكه الفرد ويبقى منفردا به لكن ظاهرة تخفي الكثير من المفارقات والصراعات، حيث أن الفرد عندما يقبل على هذا الفعل فانه يعبر على عرض مشترك يعود أساسا الى الأسرة ثم المجتمع وهذا ما تضمنته نتائج هذه الدراسة، حيث اتخذ الاتصال في مجتمعنا أسلوبا أليا وأصبحنا نفتقد إلى كل ما هو وجداني وما يتسم بالمشاركة الانفعالية، العاطفية والاجتماعية.

ان القراءة السوسيو-ثقافية للنتائج المحصل عليها في هذه الدراسة تتمثل أساسا في أن المحاولات الانتحارية في أوساط شبابنا ما هي إلا لغة رمزية تجسد مختلف

¹ -Mohamed aziz Lahbabi (1974), De l'être à la personne, essai de personnalisme réaliste, éd. SNED, Alger, p 178.

² -Minkowski in Pierre Moron, op.cit, p 79.

الصراعات حيث يرى المقبل عليها أنه بفضلها سوف يحاول الاتصال مع المحيط ويعبر على عواطفه الحقيقية التي تكون تحت الرقابة أو ممنوعة جراء الخوف والقمع، فالألام تشكل بنفسها لغة مبنية، تعمل على ملء ثغرات العلاقة المفقودة أو المستحيلة، كأن هذه الحالات تصبح تقدم ما نسميه بأعراض الفصام الاجتماعي، بمعنى الحالة ليست لوحدها مضطربة أو مريضة ولكنها في حقيقة الأمر تقدم أعراض محيط مضطرب ومريض أفقدها توازنها.

اذن هذا الجسد وجدت فيه الحالات المكان المناسب لتصريف صراعاتها النفسية لكون الأنا هو وحدة كلية، فإلغاء الجسد هو مس بالأنا الكلي.

و بالتالي تصبح المحاولات الانتحارية لدى شبابنا تطرح ضمنا مشاكل وجودية، تناولها الفيلسوف الوجودي J.P.Sartre "التفرغ للذات هو وجود الكائن الذي يطلب دائما ما بعد"¹، عندما عرف الذات والتفرغ لها كوجود للكائن الذي يطلب دائما ما بعد، أي الموت ليس مشروع (un projet)، والذات هي مشروع مستقبل الفرد معنى وجود الفرد لا يتحقق إلا انطلاقا من استثماره لذاته، اذن لا وجود للموت في الكائن الذي هو لذاته.

ان محاولات الانتحار لدى شبابنا لم تكن أبدا من أجل التخلص من هذه الذات لكن للبحث عن ذات تكون أكثر انسجاما مع وسطها، كما تعبر على أزمة وجود، "فالموت متلازمة مع الحياة، فهي أي الموت سلبية أساسية ومهمة للدينامية الحيوية، والانتحار بالعكس يكون كعنصر مشوش للسير العادي لهذه المتلازمة: الحياة والموت"².

إن الانتحار كاضطراب يتضمن المعاناة الجسدية والنفسية والاجتماعية، فتلازم الفرد مشاعر الانحطاط واللاقيمة والفراغ العلائقي، فالانتحار يمثل إذن ذلك الإطار الذي يحمل في مرجعيته التكرار العقيم للعوامل الخارجية مما يؤدي إلى الانفجار ومن ثم السقوط في حالة يأس وانهيار، وبالتالي تصبح هذه الوضعية تحمل شحنات انفعالية وتقدم مظاهر جسدية للتعبير عن التصدعات النرجسية التي تغطي الشخصية الانتحارية من خلال تذبذب العلاقات على نحو مميز بين الإفراط

¹- J.P.Sartre, in Pierre Moron, op.cit, p 76.

²-Mohamed Aziz Lahbabi, op.cit, p 310.

في المثالية ونقص تقدير الذات والافتقار إلى التعاطف كعدم القدرة على التعرف على ما يشعر به الآخرون.

وبالتالي التصدعات النرجسية التي مست البناء الشخصي للحالات، في إطار الاستثمار الموضوعي للمحيط الخارجي وذلك بتوجيه الطاقة الليبديية إلى الخارج وبالتالي تفسر المحاولات الانتحارية كنهاية لتدمير الذات والموضوع.

فهذه التصدعات النرجسية تمثل نمط الشخصية الغير مرنة والغير متكيفة مما ينشأ عنها فشل اجتماعي ومعاناة ذاتية، فنكون أمام شخصيات تتسم بتقلب وتغير المزاج وسرعة الإثارة مما ينعكس على سلوكياتهم اليومية.

اذن، تعتبر محاولات الانتحار كبوابة للخروج من وضعية صعبة غير مطابقة، أو بالأحرى منفذ للنجدة "أريد أن أموت تعني أرفض الحياة، الانتحار اذن هو حركة للإقلاع أو الانطلاق وليس هروب"

الخلاصة:

ان محاولة الانتحار تشكل رد الفعل الأخير للفرد حينما يشعر باليأس والفراغ لاستدراك الاتصال والعلاقة مع الآخر فهذا الفعل يعتبر كإشارة دالة كونها تخفي الكثير من التناقضات التي يعيشها الفرد، "فالموت أمر غير معقول لأنه لا يمكن أن يكون موضوع لأي مشروع، ما معنى الحياة؟ هي امكانية المستقبل، انتظار فهي تملك أي الحياة القدرة على تحقيق الأهداف"¹، هذه الأهداف التي يفتقدها كل فرد لم يجد حلا لمشاكله وصراعاته، فيتخذ من الموت استراتيجية للبحث عن الحياة، ما يؤكد Minkowski في هذه المقولة: "الأنا يمكن أن يسقط على المستقبل بنوع من الاندفاع، فحسبه الموت لا توجد بالنسبة الي، لأنه هناك ما بعد الموت"².

ان الأفكار الانتحارية، تولدت لدى الحالات عندما سدت أو اصر التواصل مع الآخرين وصعوبة التعبير وعدم ايجاد من يصغي اليها ويساندها في وضعيتها الصعبة، هذا ما يعبر عن ألم حاد، ضيق نفسي مؤلم ونقص تقدير الذات، فالحالات تعاني من وحدة مزدوجة تتوزع بين صعوبة الاتصال بالآخر وصعوبة الاتصال بالذات، ما جعل الحالات تبقى رهينة ماضيها ولم تتمكن من الاستيعاب الموضوعي لحاضرها ومستقبلها وهذا راجع لاختلال ديناميكيها وتفاعلها مع المحيط الذي يلتزم في حركية

¹- Pierre Moron, op.cit, p76.

²- Minkowski, in Pierre Moron, op.cit, p 79.

الشخصية كإيقاع لتحيين الوعي في المستقبل، حيث يرى محفوظ بوسبسي أن محاولة الانتحار لدى المراهقين في الجزائر، كظاهرة جديدة وهي تعبر عن فشل في البحث عن نظام جديد أمام طريق مسدود ويبقى المرور الى الفعل الملجأ الأمثل¹. أخيرا، ان هذه الحياة التي أودعها الله عز وجل أمانة لعباده، علينا أن نصونها ونحافظ عليها ولا نقبل بأن ندفعها ثمنا لمشاكل وصراعات طالما عانى الانسان منها وتعايش معها حتى أصبحت جزء منه ومنحته القدرة على الاستمرارية، التواصل والابداع.

¹ Boucebci, M.(1978), Psychiatrie, société et développement, éd. SNED, Alger, p 19.